# — حقيقة الدين —

—[ للمفضال صاحب الاسم المذيل به المقالة ]—

زعموا والزعم فى هذه الايام كثير ان الرجل لايكون خيراً صالحا ولامسلما متورعا ولا تقياً رشيداً الا اذا صطنع أموراً خاصة وانتحل نحلاً معينة وذهب مذاهب معروفة فلبس له ان يلبس الا لبوسا خاصا فيكبر العمامة ويرسل أردان الثوب ويطيل الاكمام ويمشى مشية المتخشع الذى يتكلف الوقار ويظهر الحرص عليه . وينبغى ان يأخذ فى يده مسبحة طويلة كبيرة الحبات ويغرس فى عمامته سواكا طويل القامة ويملأ أنفه من حين الى حين بأوان من السعوط ويطلق لسانه من آن الى آن بأنواع من الكلام تكثر فيها القاف وغيرها من الحروف الضخمة الفخمة . فكل هذه أمور لازمة وصفات ضرورية هى مقومات العلم والدين فليس لمسلم صالح أن يحيد عنها او يتكلف غيرها الا اذا اراد ان يحيد عن السنة ويميل عن العقيدة الطاهرة ويذهب مذهب الملحدين .

قالوا : ولابد من التردد على مقابر الاولياء ومشاهد الصالحين والطواف بها والوقوف عليها واظهار الخشية والرهبة لها والتقرب الى الله عزوجل ببركة سكانها ومن حاد عن ذلك فقد اختار الاولى على الآخرة وآثر الباطل على الحق ورغب الى الدنيا عن الدين .

قالوا : ولابد مع ذلك من الاحتفاظ بعقائد السلف وعادات الاولين والابتعاد عن استحداث الامر الصالح والسنة النافعة وعن الجهر بالرأى والتصريح بذات النفس وعن القول فى العلم والدين بما لم يقله قائل ولم يذهب اليه ذاهب فان ذلك ادنى الى حسن العاقبة واخلق بمن يريد ان يلقى الله بنفس بريئة وقلب سليم .

ذلك هو القانون الذى رسموه واوجبوا على المسلم الصالح ان يتبعه ويحرص عليه ليسلم له دينه وتصح له عقيدته ويأمن من حر النار وعذاب الجحيم وقد رأوا أن العدول عنه والتبديل فيه نوع من الشرك وضرب من الزندقة وطائف من المروق .

بذلك انطلقت السنتهم وفاظت فنياهم وعليه دلت اعمالهم وبرهنت اطوارهم فلنبحث الآن عن نصيبه من الحق وحظه من الصواب وليكن بحثنا فى هذا الفصل

مجملا موجزاً لنتبعه فيما بعد بفصول ضافية متصلة نشرح فيها حقيقة العقائد الدينية لتهتدى اليها الامة ويظهر عليها الجمهور .

لانفهم للدين معنى يقصد اليه اكثر من هداية النفوس الى ما يصلح امرها فى الآخرة والاولى فان الانسان اجتماعى بطبعه مدنى بفطرته نزاع الى ايثار نفسه بالصالحات واختصاصها بالطيبات وذلك مؤدلا محالة الى اختلاف الاهواء وافتراق الآراء وتباين المذاهب والاغراض فقد تتعارض المصالح وتتنا فى المنافع فيدعو ذلك الى اضطغان الصدور وامتلاء القلوب بالموجدة والبغض وذلك مصدر فساد فى الارض يعقبه سفك للدماء المحرمة واهدار للنفوس المعصومة وقطع لأواصر المودة والالفة بين الناس وهدم لصروح الحضارة والعمران فلابد من حاكم حازم وسلطان رشيد يحكم بين الناس بالقسط ويرد عادية القوى الظالم عن الضعيف المظلوم ويصرف الاقناء والجماعات الى العمل الصالح والرغبة فى الخير والمنفعة العامة . ثم ان مما لا شك فيه ان لكل عمل من اعمال الانسان اثراً حسناً اوسيئاً ونتيجة محمودة او مرذولة كما ان له مقدمة وعلة واقصى مالأعمال الانسان من النتائج والآثارهو ما يلقاه بعد الموت من خير او شرومن نعيم او جحيم وذلك كله يقتضى ان هناك مصرفا للامور ومسيراً للعالم ومثيبا بالحسنات ومعاقبا على السيئات ومسيطرا غلى النفوس ومستأثرا بالقلوب فلابد للانسان من مرشد الى هذا كله ودال عليه لان عقله لا يستقل بالوصول الى حقيقته ولئن استطاع ان يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا فانه لن يستطيع ان يعلم قليلا من امر الآخرة لانقطاع الاسباب بينها وبين العقل . وقد امتن الله على الانسان فأرشده الى كل ذلك بمن ارسل اليه من رسل وما انزل عليهم من كتب وما شرع لهم من دين . فليس لأحد ان يذهب فى فهم الدين غير هذا المذهب او يخو غير هذا النحو او يسلك غير هذه السبيل لالأنا نحجر على الرأى او نستبد فى النظر بل لان ذلك هو الحق الواضح الذى ينطق به الدين وينادى عليه ( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ( وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ) ( كتابا انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد)

هذه آيات الكتاب ناطقة بأن الله لم ينزل كتبه ولم يشرع دينه الا لهداية القلوب وارشاد الناس الى منافعهم فى الدنيا والآخرة وقد احل لهم فيه الحلال وحرم عليهم الحرام ومازلهم الحق من الباطل والرشد من الغى والحسن من

القبيح فمن بدل فيه او زاد عليه فهو حرى بالاثم خليق بسوء الجزاء .

فلنبحث الآن عن هذه الاوضاع المحدثة والاطوار المبتدعة ولننظر اين مصدرها من الدين وهل جاء بها نص ظاهر او مؤول من سنة او كتاب .

نعرف ان ليس فى القرآن الكريم آية او سورة انزلت لبيان ما ينبغى ان يتخذ الناس من لبوس وان النبى صلى الله عليه وسلم لم يأخذنا بنوع خاص من الثياب او شكل معين من الازياء وانما ترك لنا ذلك لانه لم يبعث ليعلمنا كيف نلبس أثوابنا او نصور اشكالنا وانما بعث ليعلمنا كيف نعبد الله عز وجل وماذا ينبغى ان نتخذ الى السعادة فى الدنيا والآخرة من سبيل .

لذلك لم يقيد اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انفسهم بزى خاص بل اتخذوا العمائم قبل الفتح ولبسوا القلانس بعده واستبدلوا المخيط من الثياب بالازر والأردية واتخذوا القصور الشامخة فى العراق والشام بل وفى المدينة نفسها وقد تحلى معاوية بالذهب والفضة ولبس الديباج والحرير ولعمرى انا لأسمح ديناً من ان نضيق بما وسع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعرف ان الاسلام انما شرع حربا على الوثنية وما حياً لها وعدواً للباطل وقاضياً عليه فهو اظهر وانقى واكرم عنصراً من ان يأمر بتعظيم القبور والانصاب وتقديس الاحجار والاشخاص . وانما الذى ينبغى تعظيمه ويجب تقديسه والاذعان لسلطانه هو الله الذى لا اله الا هوقد استأثر بالعزة والسطوة وانفرد بالعظمة والجلال .

قالوا : لا نعبد هذه القبور والاشخاص ولا نقدسها وانما نتقرب بها الى الله ونتشفع بها لديه . ولعمرى ما قالوا الا شراً وما ذهبوا الا الى بدع من الامر ومنكر من الباطل . فليس بين الناس وبين الله من سبب ولا وسيلة الا الطاعة الخالصة والانابة البريئة من الشرك والرياء والله عز وجل يقول ( ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ) ويقول ( ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولى ) .

وانما التوسل بالاشخاص والتماثيل سبيل المشركين به الخارجين عليه الذين انكرت عليهم عبادة الاصنام والتماثيل فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومن ذا الذى يتقرب الى الله بشخص لا حول له ولا طول او تمثال لا حس به ولا حياة ثم يعتقد بعد ذلك انه صادق فى دينه مخلص فى ايمانه قد خلصت عقيدته من الشك وتمحضت لليقين .

نعرف ان الاسلام انما شرع محرراً للعقول والآراء مستنقذاً للافراد والجماعات

من الرق الادبى والمادى وبهذه المزية احيى الامم ورقى الشعوب فمن اين لهؤلاء المبتدعة القول بأن الاجتهاد فى الدين غى والتصريح بالرأى اثم وايثار المنفعة للمسلمين مروق ومن قبلنا قد اجتهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين وجهروا بآرائهم واختاروا المصالح للناس لم يتقيدوا الا بالكتاب والسنة وعلى سنتهم مضى التابعون .

أفكان سلفنا الصالح مبتدعا مارقا كلا وانما هو الحرص على القديم السيء والتمادى فى الباطل المهلك قد انتهى بهم الى ما يقولون ويا ليتهم ذهبوا فى هذا الامر الى شيء مجمل او قالوا فيه مقالة موجزة قابلة للتأويل ولكنهم قد اكثروا القول وبسطوه وفصلوا الامر ولجوا فيه فزعموا ان دين المرء لا يصح الا اذا قرأ عقيدة السنوسى التى يعلمها الخليل اطفال الجنة الى غير ذلك مما لا مصدر له الا الاوهام والاباطيل

الآن قد اشرنا اشارة مجملة الى حقيقة الدين وبينا انه لا يتناول اكثر من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن زاد على ذلك فيه فقد ضل وأضل ولنا فيما بعد فصول مبسوطة نفصل فيها القول ونبسط فيها الكلام

— طه حسين —

---

( الهداية ) على ذكر ماجاء فى المقال السالف فى مسألة القبور وتقديسها يجمل ان نقتطف شيئا مما كتبه الامام ابن تيمية فى هذا الموضوع فى كتاب منهاج السنة ليظهر مرمى الشارع الاسلامى ومقاصده البعيدة قال :

قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمر بما شرعه المبتدعة من امر المشاهد ولا شرع لامته مناسك عند قبور الانبياء والصالحين بل هذا من دين المشركين الذين قال الله فيهم ( وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ) قال ابن عباس وعقيدة هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح لما ماتوا وعكفوا على قبورهم فطال عليهم الأمد فصوروا تماثيلهم ثم عبدوهم وقد ثبت عن النبى عليه السلام انه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن ابى الهياج الاسدى قال قال لى